أَمثالُنا العاميّة قبل أن تضيع

أحمد عُلَبي ❖

١ ـ لكلّ أُمّة أَمثالها. أنظرُ إلى شقيقي، الذي يكبرني بعشر سنوات، والذي يجيد، فضلاً عن الفرنسيّة والإنكليزيّة والإيطاليّة، الروسيّة قراءةً وكتابةً وتكلّمًا بطلاقة، لأَستعيده مَثَلاً روسيًا سبق لي أن سمعته منه، وهو: «ڤْسي آني خَروشِيه كَكْدا آني سپيت» (الناس جميعهم أَوادم عندما يكونون نيامًا!). وهذا المَثَل يستدعي في الذهن الحكمة القائلة: أَجمل ما يكون الأَطفال عندما يكونون نيامًا.

وننتقل من هذا المَثَل الروسيّ، المشبع بالسخرية السوداء التي نقع عليها في أدبهم البديع، إلى مَثَلٍ يهوديّ يقول: «فرنك فوق فرنك بيعمل بنك!». فالحرص على اكتناز المال يحمل على الضنّ به؛ وليس وهمًا أنّ البخيل، شأن ما يذهب إليه المثلُ اليهوديّ، يعتقد أنّ دكّ القَصَبة، كما نقول، يُفضي إلى الغنى.

ولتكن نُقْلة من الروس واليهود، في بعض أَمثالهم المعبّرة، إلى الفراعنة. وبين يديّ كتاب **الحِكَمُ والأَمثال في الأدب الفرعونيّ**، من إعداد: سيّد كريم (القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٩٤). وكنت أَنتظر صيدًا وافرًا ولُقًى فريدة، غير أنّ ما صدمني أنّ الأَمثال الفرعونيّة عاديّة هيّنة؛ علمًا أنّ هؤلاء القوم القُدامى تركوا للإنسانيّة، على سبيل المثال، رصيدًا من النحت الأَخّاذ، أَرى أنّه لم يتكرّر في تاريخ هذا الفنّ، وما زال، حتّى يومنا، شاهدًا على العظمة الجماليّة لقاطني ضِفاف النيل الخالد. ومع ذلك مَخَضْنا ما في الكتاب من أَمثال، لنقدّم للقارئ بعضًا منها، هو أَجود ما وقعنا عليه: «لا تُلقِ حجرًا في البئر، فقد تحتاج لأن تشرب منه ثانيةً»؛ «المناصب لا تبدّل الرجال، بل تكشف أَقنعتهم»؛ «صانع الأَصنام لا يعبدها، لأنّه يعرف المادّة التي صُنعت منها»؛ «لا يعرف الإنسان قيمة اليَنْبوع إلاّ عندما ينضب ماؤه»؛ «لا يخون الكلب صاحبه، لأنّه ليس من بني الإنسان»؛ «العود الأَعوج لا يكون ظِلّه مستقيمًا»؛ «كرسيّ عرش الحُكْم ليس ملكًا لأحد، فقد جلس عليه فِرْعون من قبل، وسيجلس عليه فِرْعون آخَر من بعد.» ونخال أنّ العبارة الأَخيرة سقيمة بديهيّة؛ في حين أنّ الخليفة العبّاسيّ الأَوّل، أبا العبّاس السفّاح، كان أَكثر توفيقًا في بلورة المعنى عندما قالت له امرأَته، أمّ سَلَمَة: ما أحسنَ المُلْك لو كان يدوم! فأجابها بعبارةٍ، وردتْ عند البلاذُري في كتابه **أَنساب الأَشراف** (وقد عمد الراحل الفذّ، رفيق الحريري، إلى نقشها على بوّابة السراي الكبير الذي جدّده وأضاف إليه وجعل منه تحفة فنيّة): «لو كان يدوم لدام لمَنْ قَبْلَنا فلم يصل إلينا.»

٢ ـ المَثَل «خبيث الطويّة». إنّ أَولادنا يرطنون بالفرنسيّة أو الإنكليزيّة، يأخذ بألبابهم الغناءُ الغربيّ، تتحرّك أَرجلهم وقلوبهم لإيقاع الديسكو وأَضرابه. وإذا تزاحم حديثك، الموجَّه إليهم، بالأَمثال، انقطعوا عن الفهم، وخالوك تتحدّث التركيّة؛ كما كان يفعل أَهلنا عندما كانوا يودّون الإفضاء بينهم بشيءٍ، ولا يرغبون في أن يُطلعونا عليه.

فالأَمثال ثقافة عامرة، تتوارثها الأُمم؛ وقد توالدت مع التجاريب وطَيّ الحِقَب. وكانت في الماضي خزّان تجارِب لأَجدادنا، يتّعظون بها ويسترشدون؛ وهم يلتمسونها عند الشدائد ليتبيّنوا مواطئ أَقدامهم. وغدت لنا هذه الأَمثال ميراثًا حِكَميًّا جليلاً. ولكنّ أَولادنا يكادون يجهلون تراثهم وتاريخهم، فكيف تطلب منهم أن يعرفوا التوريات والحِكَم؟ أَولادنا بِلا أَمثال.

لقد قيل: «أَشْيَرُ من مَثَل.» وذلك أنّ الأَمثال تنتشر وتتغلغل في الناس جميعًا، عالِمِهم وجاهلهم، مترفهم ومعدمِهم، جليلهم ووضيعهم. فهي لا تعرف، بين صفوف الشعب، حدودًا ولا طبقات. وإنْ كانت ترشح أحيانًا بمعزًى طبقيّ ـ لأنّها ثقافة مشاع، وخبرة مشتركة، وحصيلةُ أيّام ودهور. ثم كم من مَثَلٍ ههنا نلقاه بعينه، أو على نحوٍ مقارب، فاشيًا في شعبٍ هناك؛ وهو ما يدلّ على تسرّبه من أمّة إلى أخرى؛ أو ربّما تلاقيهما أحيانًا على صعيد التجارِب الإنسانيّة، وما تخلّف في النفس البشريّة من معانٍ وسوانحَ واحدة، من باب وقوع الحافر على الحافر ـ على حدّ تعبير النُّقّادة القُدامى.

على أنّه يبقى لكلّ أمّة أَمثالها، لأنّه ما من أمّة تشابه الأخرى تمامًا في الميول والأَمزجة والأَهواء. ولا أدلّ على ذلك من أنّنا، نحن شعوب الأمّة العربيّة، قد تكوّنتْ لنا، بفعل الزمن، والفُرْقة القسريّة، والمُناخ، والأَقاليم، وطراز الحياة، ونمط الإنتاج، أَمزجةٌ و«عقولٌ» متباينة، انعكستْ ثراءً في الألوان والأَنواع والأَخيلة التي صاغت تراث أدبنا العربيّ الحديث. فكيف يصير الحال إذا كان بين أمّةٍ وأخرى، لكلّ منهما شأنها في مستوى التطوّر الاجتماعيّ؛ ولكلّ منهما تاريخها، وأَوضاعُها الحعرافيّة المتميّزة، وأسلوبُها اللغويّ الخاص؟

تنهض الأَمثال، لشيوعها، بدورٍ تثقيفيّ وجماهيريّ، وذلك بسبب تركيبها اللفظيّ والموسيقيّ الذي يجعلها تعْلق في الأَذهان. ومن هنا قولُ ابن عبد ربّه عن الأَمثال، الذي يبدو للسامع أنّه مبالَغٌ فيه: «فهي أَبقى من الشعر، وأَشرفُ من الخَطَابة، لم يَسِرْ شيء كسيرها ولا عَمَّ عمومها.» وعندما نقول «ضرب المَثَل،» فمعنى ذلك أنّه جعله يسير مشمّرًا في أَنحاء البلاد؛ كما نقول «ضرب في الأرض،» أيْ مضى سائرًا في جَنَباتها.

وليس مردّ تفشّي المثل أنّه نظير الحِقْد القبليّ أو الجَرَب: «كالعُرّ

يكمن حينًا ثم ينتشرُ» ـ على رأي الأخطل الأُمويّ؛ ولكنّ ذيوعه كامن في أنّه من جوامع الكَلِم، بحيث يبدو مستساغًا في اللفظ والحفظ. ومن مزايا المثل أيضًا أنّه «خبيث الطويّة،» إذا جاز التعبير؛ فهو يحمل معنيين: أحدهما ظاهر شائع، والثاني خفيّ باطن ينطوي على حكمة ومغزى. قال ابن المُقفَّع: «إذا جُعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق، وآنقَ للسمع، وأوسعَ لشعوب الحديث.»

٣ ـ لبنان الضَّحُوك. احتفل علماءُ العربيّة بالأَمثال، فسعَوْا إلى جمعها وتصنيفها، وَفْقَ حروف الهجاء، وإلى تفسيرها قَدْرَ الإمكان. وكان أبرزهم في هذا المجال: المُفَضَّل الضَّبّي؛ القاسم بن سلاّم، واضع كتاب **الأَموال**؛ حمزة الأَصْبهاني؛ أبو هلال العسكريّ، صاحب كتاب **الأَوائل**؛ والمارودي، صاحب **الأَحكام السلطانيّة**. على أنّ أبعدهم صيتًا هو المَيْداني، صاحب **مجْمع الأمثال**، ومن رجال القرن الخامس الهجريّ/الحادي عَشَرَ الميلاديّ؛ وقد احتوى **مجمعه** على ستةِ آلافِ مَثَل. (الطريف في شأن المَيْداني أنّ الزَّمَخْشَري، معاصرَه، امتلأ بالحسدِ حياله؛ فهو صنّف **المستقصى في الأَمثال**، لكنّه، بعد اطّلاعه على عمل الميداني، فغدا: النميداني، ومعناه باللغة الفارسيّة: مَنْ لا يعرف شيئًا! فانتقم الميداني منه بأن جعل لاسمه اللون عِوَضَ الميم، فصار: الزنخشري، ومعناه: مَنْ باع زوجته! ولا تعجب أيّها القارئ؛ فعداوة الكار بين الكتّاب والفنّانين تولّد أحيانًا الغرائب).

سُقْنا الإطلالة المتقدّمة على الأَمثال الواردة في لغتنا الفصحى. غير أنّ الأَمثال العاميّة لم تحظَ بما حظيتْ به أَخواتُها الرافلة في الأَثواب القُشُب من لغة الضاد، وإنْ كانت الأَمثال العاميّة العربيّة بدأتْ تذرّ قرنها في مصنّفات عصر الانحطاط، كما في الكتاب الشهير للأَبْشيهي (ت ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م)، **المُسْتَطرف في كلّ فنٍّ مُسْتَظرَف**، حيث نقع على بابٍ يحوي الأَمثال العاميّة؛ وقد بلغ تَعْدادُها نحوًا من ثلاثمائةٍ وخمسينَ مثلاً.

لقد عُنيتْ نهضتنا الحديثة بكلّ ما هو شعبيّ عناية لافتة، أكان رقصًا أمْ موسيقى أمْ غناءً أمْ أدبًا. كما التفتت أيضًا، ولكنّها التفاتة غير وافية، إلى موروثنا من الأَمثال العاميّة. ونحن في بلدنا يمكن أن نذْكر باعتزاز جهد سلام الراسي. فقد جمع طائفةً كبرى من الأَمثال العاميّة اللبنانيّة، وخصوصًا الجنوبيّة منها، مع إيضاحٍ لأُصولها ومناسباتها، وذلك في كُتُبه التي يتوسّل فيها الأسلوبَ الصافي والشرحَ الوافي. كما نذْكر بالخير الصِّحافي الراحل رياض حنّين، في كتابيه اللطيفين: **نكات خازنيّة**، نسبة إلى آل الخازن العائلة المعروفة في مقاطعة كِسْرُوان (بيروت: مؤسّسة نوفل، ١٩٧٩، ١٩٨٠). ويختم حنين توطئة المجموعة الأولى قائلاً: «ولبنان ضَحُوك على الدهر» (ص ٣٣).

بلى، لبنان ضحوك، وأَبناؤه يختزنون طاقة من حبّ الحياة وتعاطي النكتة والرقص والتهييص. فلا عجب بعدئذٍ أن تحفِل معيشتهم بالأَمثال العاميّة الرائجة، فهي دلالة على اليَقَظة والنظرة الناقدة والسخرية المحبَّبة.

٤ ـ التقاط الأَمثال العاميّة. هنالك رُوّاد، في ميدان الأَمثال اللبنانيّة العاميّة، نظير المستشرق السويديّ، كارلو لندبرج، والمونسنيور ميشال فعالي، واللغويّ أنيس فريْحَه، وفؤاد أفرام البستاني، وعيرهم من اللاحقين؛ وأَخصّهم، كما سبق وذكرنا، سلام الراسي. وعلى هؤلاء عوّل إميل بديع يعقوب في تصنيف كتابه **الأَمثال الشعبيّة اللبنانيّة** (طرابلس ـ لبنان: منشورات جرُوس برس، ١٩٨٤). على أنّنا نستغرب كيف أهمل هذا الباحثُ، في دراسته التمهيديّة النافعة، ابنَ الشَّمال، صِنْوَه، الأديب ميخائيل مسعود، صاحب الكتاب الجميل **أَمثال وحكايات** (بيروت: دار الكتاب اللبنانيّ، ١٩٨٠). ولا يفوتنا أن نذكر **الأَمثلة البيروتيّة في سياق الأَمثلة اللبنانيّة** لسعدالدين فرُّوخ (بيروت: المكتب الإسلاميّ، ١٩٨٥).

إنّ الأَمثال العاميّة الشعبيّة من الذخائر الآيلة إلى النسيان والانقراض. وإذا كان إنغلز قد قال إنّ الملحمة انتهت منذ رواج المطبعة لأنّها كانت تقوم على الذاكرة والإنشاد، فإنّ الأَمثال هذا شأنها كذلك. فهي ثقافة الناس الشفويّة خلال زمن كان التعليمُ فيه نادرًا، والكتابُ منسوخًا، والقراءةُ عادةً غير مألوفة لدى عامّة الناس. ولقد خلّفتْ لنا القرون تراثًا غزيرًا من الأَمثال العاميّة التي هي صائرة إلى الاندثار، لأنّ حَمَلَتها ووَرَثَتها يلبّون نداء ربّهم، فلا يأخذون معهم سوى الكفن والأَعمال الصالحة، وربّما هذه الأَمثال المعبّرة أيضًا.

وهذه التي أَحرص على تسجيلها، قبل أن تضيع، هي الأَمثال العاميّة عندنا. فهي تترامى إلى أُذني وأنا أَستقلّ سيّارةَ السرفيس؛ وتتناهى إلى سمعيَ خلال أخذٍ وردٍّ وجِدال وإقناع، وخصوصًا في الأَوساط الشعبيّة. صحيح أنّ هناك كُتُبًا جامعة لهذه الأمثال، كما أَسلفنا، ولكنّها تقصّر دائمًا عن أن تضمّ كافّة ما يطرق الآذان. ومن هنا هذا الحرص ـ الهواية عنديَ في التقاط هذه الأَمثال العاميّة، التي تناهت شِفاهًا إلى مسمعي، وفي قيامي بتسجيلها. فأنا على شاكلة مَنْ يجمع نقودًا معدنيّة قديمة، باتت في ذمّة التاريخ (هل في جيبك قِرْشٌ مثقوب؟ وكان رائجًا في الأَربعينيّات من القرن المنصرم)، وكمَنْ يجمع طوابع بريديّة تؤرّخ لعهودٍ مضت، ويستهويه ترتيبها في كاتالوغات مخصَّصَة لهذه الغاية؛ وهناك مَنْ يجمع الأحجار الكريمة، ويعرضها في خزائنَ ملائمة؛ وهناك مَنْ يقتني حيوانًا أو طائرًا شبه منقرض...

من الطبيعيّ أنّني لا أَبتغي من جمع الأَمثال العاميّة أن أَقوم بعدئذٍ بتسويقها. كلّ ما أصبو إليه، عزيزي القارئ، أن تلوح ابتسامةٌ على محيّاك، وأنت تطالعها. والأمل لدينا أن نتدارك تسجيل هذه الأَمثال

الشعبيّة، الرائجة في لبنان وسوريا، وذلك قبل أن يلفّها الضَّيَاع، وخصوصًا أنّ الجيل الجديد بين ظهرانَيْنَا، ولأسبابٍ شتّى، يصدف عن التعامل بهذه العُمْلة، التي تغدو، مع كرور الأيّام، شبه بائدة بين ناشئتنا. ومردّ هذا، في نظري، إلى وجود المطبعة وتوافر الشاشة على أنواعها. كان الناس، في الزمن الغابر، يعوّلون على الحفظ. والصاحبُ بن عبّاد منع حاجبُهُ راويةً من الدخول على سيّده، إذا لم يكن حافظًا آلافًا من أبيات الشعر، فأجابه الراوية: «هل تريدها من شعر الرجال أم النساء؟!». فالمطبعة أضعفت ذاكرة الناس إلى حدٍّ مذهل. ولماذا نَبْعُدُ؟ فجدول الضرب يكاد يجهله تلامذتنا حاليًّا، لأنّهم وضعوا ثقتهم الكاملة في الحاسبة الإلكترونيّة. والأمثال كانت لآبائنا وأجدادنا ثقافة متنقّلة، يحفظونها في صدورهم، وتسيل على ألسنتهم في كلّ مناسبة. ثقافة شبيبتنا مرئيّة، والكومبيوتر ديوانُ العصر، والعقول تتّجه نحو سُفُنِ الفضاء، لهذا غدت الأمثال العاميّة متاليك عتيقة. وهذه المتاليك أحرص على جمعها، توًّا في دفترٍ، هو أشبه بـ «قُجّة» الأيّام الخوالي عندما كنّا صغارًا. وقُجّتي الراهنة في ازدياد، وما يدريني فلربّما أكسرها، ذات يوم، في كتابٍ، أو في فصولٍ، كما أفعل الآن.

٥ ـ باقةُ أمثالٍ عاميّةٍ مشروحة. سنعمد إلى تقديم باقةٍ صغيرة من الأمثال العاميّة اللطيفة، عوّلنا فيها على السَّمَاع؛ وهي بمنزلة دَفْعةٍ على الحساب، كما نقول تجاريًّا، من هذا التراث الشعبيّ الجذّاب:

١ ـ أُمّو موحّمِه على كيس طحين. سمعتُ هذا التعبير من أحد المارّة، وقد أبصرنا معًا رجلاً شعرُه شديدُ البياض. ولا ريب أنّ هذا الوِحام مبعثه الأيّامُ العصيبة، وربّما المجاعة التي حلّت بلبنان، زمنَ الحرب الكونيّة الأولى، عندما افتقد الناس الطحين على نحوٍ خاصّ.

٢ ـ إنْ سبقت بوسها، وإنْ أخّرت دوسها. المقصود بذلك ساعة الوقت.

٣ ـ الإيد الفاضيهْ مِجْويّهْ. يقال هذا المَثَل لمَنْ يشارك مثلاً في مناسبة اجتماعيّة، من غير أن يأتيَ بهديّة. ومِجْويّه أي متّسخة.

٤ ـ بحط بكوارتي بمنن جارتي. الكوارة هي البطن.

٥ ـ بعد الستّين راح يتعلّم دء السِّنْطِير؟ السِّنْطِير آلة موسيقيّة تُشبه القانون، ذات أوتار نحاسيّة عَشَرَة. والكلمة يونانيّة، ولها بالعربيّة مرادف آخَر وهو السَّنْطُور. ويُضرب المَثَل لمَنْ يسعى إلى شيءٍ بعد فوات أوانه.

٦ ـ بيطلب شربة مي بيجيبولو الكفن. دلالة على تسرّعهم وتهوّرهم للخلاص منه.

٧ ـ جيبوهم على جَهَلْ، وربّوهم على مَهَلْ. عندما اكتفى صديقي أبو طارق بخمسة أولاد عيّره بعضهم قائلين إنّ هذا العدد قليل، ثم ذكروا المَثَل المتقدّم لإقناعه.

٨ ـ حدّ الجبان بيتعلّمو المراجل. حدّ بمعنى إلى جانب أو برفقة؛ والمراجل، لبنانيًّا، تعني ادّعاء القوّة والفتوّة.

٩ ـ حَسَنة الجسم بألف حَسَنه. المقصود أن يلتفت المرء إلى العناية بجسمه، فيحصّل بذلك حَسَنَةً.

١٠ ـ سجّلْ عُمْرُو بعد الدشيشه. الدشيشه هي التسمية الشائعة في جنوب لبنان، وربّما في غيره، للحصبة؛ وكانت قديمًا مميتة أحيانًا، لذا كان المَثَل لمَنْ نجا منها. ودشّشْ عندهم أيْ حصّب.

١١ ـ شمس شباط لكنيناتي، وشمس آذار لبنيّاتي، وشمس نيسان إلي ولشيباتي. تُؤْثر الأمّ بناتها على نساء صبيانها، أي كناينها.

١٢ ـ صلاتو مأطّعا الحُصُر. هذا التعبير ورد على لسان شقيقتي الكبرى، المرحومة أمّ هادي. وهي قالته لي ممازحةً ومستهزئة، عندما أخبرتُها، معتذرًا، أنّي أتخلّف عن زيارتها لكَثْرة مشاغلي وضيق وقتي.

١٣ ـ طعمينا من خيرك، لا تُعْوِزْنا لغيرك. الدعاء الدائم للمرحوم الوالد بعد تناول الطعام.

١٤ ـ لا عمّر عماره ولا سكّر سكاره. بمعنى أنّه لم يستصلح أرضًا ولا عَمَرَها.

١٥ ـ لولا علبة مَكّي لكانت حالتها بتبكّي. كانوا، قديمًا، يُخرجون مع العروس، في جهازها، عُلْبة زينة تُدعى علبة مَكّي. ونعتقد أنّ الكلمة معرّبة عن المفردة الفرنسيّة: maquillage.

١٦ ـ ما بينسّي مره إلاّ مره. عند فقدان الزوجة، لا بديل لها، لنسيانها، سوى امرأة ثانية تحلّ مكانها.

١٧ ـ ما لي بهلخُرِجْ بأسماط. البقسماط هو نوع من الخبز، وههنا بمعنى الحِصّة والنصيب.

١٨ ـ المجيدي بيرقّع حَلّه. كانت الليرة الذهبيّة العثمانيّة تساوي، حوالى الحرب الكونيّة الأولى، خمس مجيديّات؛ وكانت ثلاث ليرات ذهبيّة كافية لإعالة أُسرةٍ مدّة شهر.

١٩ ـ المره يلّي بتعرف قيمة الجرجير بتزرعو تحت السرير. هذه الوصفة الجنسيّة كانت شائعة يوم لم تكن الڤياغرا الشهيرة معروفة بعد.

٢٠ ـ هالسَّدّه بهالبَدّه. السَّدّه ههنا بمعنى سَدَاد الدَّيْن الذي يتخلّف صاحبه عن القيام به، لعجزه عن ذلك، فيقترح البَدّه أي حلاًّ بديلاً عنه.

٦ ـ «ميني» معجمٍ صغير للأمثال العاميّة. هي أمثال عاميّة واردة

إليّ، في الغالب، من الإرث العائليّ الحميم. فلا سبيل إلى نسيان الوالدة، أم عاطف، فقد كانت ذات ذاكرة ليس من المغالاة نعتُها بالباهرة. وهناك والدي، سُهيل، صاحب النبل والأخلاق الرفيعة جدًّا، وكان حقًّا مصداقًا لقول مهيار: «أين في الناس أبٌ مثلُ أبي؟». ومن مراجعي في موضوع الأمثال العاميّة ابنةُ عمّتي، جُنَيّه، وكانت امرأة غاية في الظّرف والفكاهة والمحبّة. وهناك شقيقتي الكبرى، أم هادي، وكانت الأمثال زادًا في كلامها. ولا أنسى طبعًا شقيقي الأكبر، عاطف، وقد أتيتُ على ذكره في مطلع هذه الدراسة.

على أيّ حال فقد صنعنا للأمثال العاميّة التي حصّلناها بالسماع «ميني» معجم رتّبناه على حروف الهجاء، ويضمّ ١٢٧ مثلاً عاميًّا؛ فضلاً عن ٢٠ مثلاً عاميًّا، سبق ذكرها، وقد قمنا بالتعليق عليها وإيضاح معانيها. فإذا مجموع الأمثال العاميّة التي توافرت لنا هو ١٤٧. وهي رائجة في لبنان وسوريا، وربّما عثرنا على بعضها في غيرهما من البلدان العربيّة.

(أ)

٢١ ـ الأريه يلّي ما فيها نصاره خساره.
٢٢ ـ إبنك لا تعلّمو، الدهر بيعلّمو.
٢٣ ـ إجا للعميان صبي، فروّحوه بالبأبشه.
٢٤ ـ إجا ليكحّلا عماها.
٢٥ ـ إجو ليحدّو الحصان، رفعت الخنفسه رِجلها.
٢٦ ـ إحكي وهز كمامك، هيدي عز إيّامك.
٢٧ ـ إذا كبر إبنك خاويه.
٢٨ ـ إذا كنت بين العوران عوير عينك.
٢٩ ـ أُط ما بيهرب من عِرْس.
٣٠ ـ أعدة الجاره بتخرّب الدياره.
٣١ ـ اعمل منيح وكب بالأنا الجاري، إذا ما بيّن مع العبد ببيّن مع الباري.
٣٢ ـ إكرام الضيف ناكل.
٣٣ ـ أكل العنب حبّه حبّه.
٣٤ ـ ألّو: يا عمّي إنتِ مطرح أبي. ألّو: كبّر عألك يا صبي.
٣٥ ـ أمرو بين الكاف والنون، إذا آل للشي كن فيكون.
٣٦ ـ الإنسان جِلْدِهْ، شدّها بتنشد، رخيها بترتخي.
٣٧ ـ أهوه بَلا دُخّان، متل اليهودي بلا حاخام.
٣٨ ـ أوّلو دَلَع، وآخرو وَلَع.

❖ ❖ ❖

(ب)

٣٩ ـ باب رزء وأهْوه ما بيصير.
٤٠ ـ بسَيْن لعب بعئِل فار.
٤١ ـ البطن مو أناني تبان فيه المعاني.
٤٢ ـ البلاش لاش.
٤٣ ـ البلد يلّي بتُصَلا كول من بَصَلا.
٤٤ ـ البيت بسكّانو.
٤٥ ـ بيدحش حالو بعروء المعده.
٤٦ ـ بيكون عبيحلئ بيصير عبأبّع ضراس.
٤٧ ـ بيلحس الدبس عن الطحينه.
٤٨ ـ بيهلك ليربّي صاحب.

❖ ❖ ❖

(ت)

٤٩ ـ تآربو تحابّبو، تباعدو تباغضو.

❖ ❖ ❖

(ث)

٥٠ ـ الثَنَى أحسن من الغنى.

❖ ❖ ❖

(ج)

٥١ ـ جحا ما بيستأوي إلاّ على خالتو.
٥٢ ـ الجَمَل بمصريّه، ومصريّه ما في.

❖ ❖ ❖

(ح)

٥٣ ـ حِجّه ما بتئلي عِجّه.
٥٤ ـ الحجر يلّي ما بيعجب بيفج.
٥٥ ـ حطّت على غُمُرْها حَجَر.
٥٦ ـ حظّي دائمًا أسود، وبالبطيخ أبيض.

٥٧ ـ الحكي الحلو بيطلّع الحيّه من وِكرها.

٥٨ ـ حنّيه بَلا رضاعه.

٥٩ ـ الحوراني حوراني، لو تعشّا الضهر.

❖ ❖ ❖

(خ)

٦٠ ـ خاله مرة الأب سَخْطه من عند الرب، ما تحب ولا بتنحب.

٦١ ـ خير الدير بألب الدير.

❖ ❖ ❖

(د)

٦٢ ـ الدراهم كالمراهم، حطّها عالجرح يبرا.

٦٣ ـ الدنيا فايه، والزمن كبّاس.

٦٤ ـ الدَّيْن ممنوع، لأنّي ملدوع.

❖ ❖ ❖

(ر)

٦٥ ـ الرجّال مدد، والمرا عدد.

٦٦ ـ الرحمه بتخص والبلا بيعم.

٦٧ ـ الرأص نأص والغِنا بهدله.

❖ ❖ ❖

(س)

٦٨ ـ سانيه جاريه ولا نهر مأطوع.

❖ ❖ ❖

(ش)

٦٩ ـ الشاطر ما بموت.

٧٠ ـ الشِرْش إلاّ ما يِسْئِي.

٧١ ـ شو بتكبر عنّي وإنتِ إبن عمّي؟

٧٢ ـ شو دخل طز بمرحبا.

❖ ❖ ❖

(ص)

٧٣ ـ صاحب المال ألبو تعبان.

٧٤ ـ صبري على حالي، ولا صبر غيري علي.

❖ ❖ ❖

(ض)

٧٥ ـ الضرس والنار ما عليه عيار.

٧٦ ـ الضيف ضيف ولو أعد الشتا والصيف.

❖ ❖ ❖

(ط)

٧٧ ـ الطمّاع دقنو بطيز المفلس.

❖ ❖ ❖

(ع)

٧٨ ـ عاشر التِئي بتتأى، وعاشر الشئِي تتشأى، وعاشر خيار الناس لا بتتعب ولا بتشأى.

٧٩ ـ العافيه بتجي شوي شوي.

٨٠ ـ على أد بساطك مد رحلاك.

٨١ ـ عوّد إبنك على رغيفين، ولا تعوّدو على أميصين.

❖ ❖ ❖

(غ)

٨٢ ـ الغِرْبه كِرْبه.

٨٣ ـ غسّلْ وحّك ما بتعرف ميں ببوسو، نظّف بيتك ما بتعرف مين بدوسو.

❖ ❖ ❖

(ف)

٨٤ ـ فلان إجريه من عِرِي، ما بيمشو إلاّ بِكِري.

٨٥ ـ فلان عموسّع برنيطو.

٨٦ ـ فَوْت الحار عند الجار أوّلها مهتّه وآخرها مِعْيار.

٨٧ ـ فوق الموته عصّة الأبر.

❖ ❖ ❖

(ك)

٨٨ ـ كترة الشد بترخي.

٨٩ ـ كتير غَلَبُهْ.

٩٠ ـ الكعك من العجين.

٩١ ـ كل إنسان بهمّو وجحا بيئتل بأُمّو.

٩٢ ـ الكلب يلّي بتجرّو عالصيد يا طول ما يصطاد.

٩٣ ـ كل رَيّه بنَيْسان بتسوى السكّه والفدّان.

٩٤ ـ كل صغير انتشا ناس الكبير إيدو.

٩٥ ـ كل أَدَم وإلو خَدَم.

٩٦ ـ كل ما عتئ كل ما طاب.

٩٧ ـ كل مين بجر النار لأُرصو.

٩٨ ـ كول لئمه كبيره، ولا تَحكي كلمه كبيره.

❖ ❖ ❖

(ل)

٩٩ ـ لا يموت الديب ولا يفنى العسم.

١٠٠ ـ اللبس بعلّم المشي، والأُرش بيعلّم الحكي.

١٠١ ـ اللئمه اللّي بتزلغط بالتم بيكون متعوب عليها.

١٠٢ ـ لمّا يصير حكي المصاري كلّهم متل بعض.

١٠٣ ـ لو الإسم بينشرا لسمّى الفئير إسم إبنو خرا.

١٠٤ ـ لو عشا عيشة السوره لا بد من هجّوره.

١٠٥ ـ لولا اللبايئ ما انعرفت الخلايئ.

١٠٦ ـ ليالي العُرْس مُلْس.

❖ ❖ ❖

(م)

١٠٧ ـ ما إلك عدو إلاّ عدو الكار.

١٠٨ ـ ما أي ميں صف الصواني آل أنا حلواني.

١٠٩ ـ ما بتاكل إلاّ الصحّه.

١١٠ ـ ما بيجي من الغرب شي بسر الألب.

١١١ ـ ما بيرضي صاحب، ولا بيكيد عدو.

١١٢ ـ ما تِلّي ولا بِلّك، سآل ألبك بيدلّك.

١١٣ ـ ما حدن بيؤول عن دبسو حامض.

١١٤ ـ ما حدن ينط من الثفّه لأَدانها.

١١٥ ـ ما راضي لا الشاري ولا البايع.

١١٦ ـ ما عاد يعجبها العجب ولا الورد برحب.

١١٧ ـ متل الجراد بيفنّس عن ألف وميّه، وبيؤول: يا إلّة الذريّه.

١١٨ ـ متل العاده يا سعاده.

١١٩ ـ مره بتعمّر ومره بدّمّر.

١٢٠ ـ المره وسواسة المخدّه.

١٢١ ـ المصاري بتحكّي الأخرس.

١٢٢ ـ المطبخ بدّو ركونه ما بدّو واحده محنونه.

١٢٣ ـ مغسّل وضامن الجنّه؟

١٢٤ ـ مكتوب عليها: يا قاضيَ الحاجات.

١٢٥ ـ ملعون الكلب يلّي ما بينبح.

١٢٦ ـ من كل حِرْج عصايه.

١٢٧ ـ منكون بالحكمه منصير بالبيطره.

١٢٨ ـ مين أعلم فيك؟ ربّك وحارك.

١٢٩ ـ مين صرف وما حسب، فِئِر وما دري.

❖ ❖ ❖

(ن)

١٣٠ ـ الناس أجناس، فيهم فضّه وفيهم نحاس.

١٣١ ـ نيّال يلّي إلو بُكْرا.

❖ ❖ ❖

(هـ)

١٣٢ ـ هيدا الخنزير بدّو هيدا الجنزير.

❖ ❖ ❖

(و)

١٣٣ ـ وجع البطن، ولا كب الطَبِيْخ.

١٣٤ ـ الولد أكلو تجاره ولبسو حَساره.

١٣٥ ـ الولد يلّي ما منصلبك كل ما جن فرحلو.

(ي)

١٣٦ ـ يا افتحوا وافتخر، يا سكّرو وانستر.

١٣٧ ـ يلعن الخير يلّي ما ببيّن على أهلو.

١٣٨ ـ يلّي بتمّو لسان ما بضيع.

١٣٩ ـ يلّي بدّو يعمل ريّس، بدّو يجيب الريح من أُرُوْنها.

١٤٠ ـ يلّي بصاهر ما بآهر.

١٤١ ـ يلّي بغيّر عادتو بتبِل سعادتو.

١٤٢ ـ يلّي بيترك كارو بتحتار أفكارو.

١٤٣ ـ يلّي بيدفع للزمّار بيختار اللحن.

١٤٤ ـ يلّي بيشلح تيابو بيبرد.

١٤٥ ـ يلّي ما عندو كبير ما عندو تدبير.

١٤٦ ـ يلّي ما فيك عليه حِيْلْ الله عليه.

١٤٧ ـ يلّي ما هوّ في بلدك لا إلك ولا لولدك.

❖ ❖ ❖

٧ ـ تعقيب. إنّها، بالطبع، أقوال خارجة من صميم الحياة، وما تشتمل عليه في معتركها من تجاربَ ومواقفَ عمليّة تُمليها الحكمة الشعبيّة ونِشْدان الاعتدال. وهي تتضمّن حكمة ساخرة، وتحمل في ثناياها ما يعتمل في وِجدان الشعب من حُبْثٍ محبَّب، وطَوِيَّة مزغردة، وتلقائيّة صريحة. ليس من طبع جمهور الناس أن يلبسوا القفّازات، إنّهم يقولون للأعورِ إنّه أعورُ، وليكن ما يكون.

وهي أمثال تتناول ضروبًا شتّى من الموضوعات، شأن: العمل والشراء والسلوك والشطارة والقرابة والمال والاستدانة والجنس والضيافة والمعاشرة والغرور والصحّة والغنى والكار والمصاهرة. إنّها السجلّ الشعبيّ للحياة بقاعها الدافئ وحِضْنها الحنون، النابض بحسّ الفكاهة الظريفة التي لا نجرؤ دائمًا على تسجيلها. سألتُ أحد الظرفاء، والحال هي الحال: كيف الوَضِعْ؟ فأجابني: مَصْ وَرضِعْ!

وفي الأمثال توجيه صادق، ومع ذلك فلا يفوتنا التنويه أنّه توجيه أحيانًا طلبًا للسلامة أو طلبًا للمنفعة في غير وجهها القويم، إذ تنحو منحى النفعيّة أو الانتهازيّة: «إذا كنت بين العوران عوير عينك!».

ثم إنّ المثل قد ينطوي أحيانًا على شيءٍ من التمييز أو العنصريّة: «الحوراني حوراني، لو اتعشّا الضهر!». وبرغم ما في الجزء الثاني من هذا المثل من سورياليّة هزليّة، فهو يعكس وضعًا تاريخيًّا مرّ على لبنان، عندما كان يَفِدُ عليه، في مواسمَ من السنة، شبابٌ من حوران للعمل في ورشات البناء، ثم يرتحلون باقي السنة لمزاولة الزراعة في أرضهم بسوريا. وكان وضع هؤلاء الشباب عهدذاك، أيْ في الثلاثينيّات والأربعينيّات من القرن الماضي، متخلّفًا جدًّا من حيث التعليم والمستوى الاجتماعيّ. ولا بدّ أنّ هذا الوضع قد تبدّل حاليًّا على نحوٍ جذريّ، بدليل الوعي العظيم الذي يعمر صدور الشباب هناك. فمحافظة حوران عاصمتُها دَرْعا، ودرعا هي رأسُ الحربة في الثورة السوريّة الراهنة، ولاسمها في الأحداث العاصفة ألَق ورنين؛ ويتمنّى كلّ عربيّ ثائر، طلبًا للحرّيّة والكرامة، أن ينتسب إلى حوران المنتفضة بعِناد على الظلم والطغيان. لم يعد تعبير «حوراني،» كما في المثل المارّ ذكره، ضربًا من التعيير أو الشتيمة، بل غدا موضع فخر ومعزّة. وهكذا فالمثل أحيانًا هو نوع من المدوَّنة التاريخيّة والاجتماعيّة.

٨ ـ مُلحق. عثرتُ بين أوراقي على نصٍّ كتبته في ٢٠٠٣/١/٤، ونشرَتْهُ جريدة **النهار** في حينه. وقد تضمّن أمثلة ثلاثة:

١٤٨ ـ أنا الله جابرو معها، بس إنت مين حابرو؟ قول يُحكى عن أرمنيٍّ وقد فاجأ زوجته القبيحة بين أحضان رجلٍ غريب.

١٤٩ ـ شي بيخرّي، شي بيضحّك بسَيْنات. سمعتُ هذا التعبير الساخر الطريف من شوفير سرفيس، وكان يعلّق به على أحوال البلاد وظلم العباد من طرف الحاكمين المتحكّمين.

١٥٠ ـ لو نبت العشب على شريط الكهربا ما بصدّئ. جاء هذا الكلام على لسان سائق سيّارة في النبطيّه. وقد أخبرني به صديقيَ العريق، جواد صيداوي، وكدت أقول: طيّب الله ثراه! ولكنّ حوادًا أشطر وأدهى من أن يفعلها قبلي!

بيروت

❖ ينتسب أحمد عُلَبي إلى عائلة دمشقيّة المست استوطنتْ بيروت عام ١٩٠٠ وحصلتْ على الهُويّة عام ١٩٢٤. عمل أستاذًا للأدب العربيّ الحديث ولمنهجيّة البحث في الجامعة اللبنانيّة. شارك في التأليف لدى المركز التربويّ للبحوث والإنماء. أصدر كتابين عن طه حسين، وآخريْن عن ثورة الرَّبح في العصر العبّاسيّ. نشر ستة عشر كتابًا ما بين أدب ودراسة وتاريخ، آخِرها: **بالأحضان يا بلدنا** كتابه القادم، عنوانُه **سُليمى وقاموس العواطف**، وهو في الغرام.